

آليات تقديم الشخصيات في رواية "باسيل ومارسيل" لحسن البنداري

The mechanics of characterization in Hassan Al-Bandari's "novel "Basil and Marcel

رزاق لبزة فطيمة الزهراء *

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)

fatimazahra.rezzaglebza@univ-biskra.dz

مخبر أبحاث في التراث الفكري والأدبي بالجزائر، جامعة باتنة 1

تاريخ الإرسال: 2025-09-25	تاريخ التقييم: 2025-11-02	تاريخ القبول: 2025-12-10
---------------------------	---------------------------	--------------------------

الملخص

تأخذ الرواية مكان الصدارة في الأشكال الأدبية عربيًا وعالميًا كونها الأنسب لرصد وضع المجتمع وتجسيد أزماته، من خلال شخصياتها، وقد أبدع "حسن البنداري" في كتابة القصص والروايات بأشكالها وأغراضها المختلفة، نذكر من ذلك رواية "باسيل ومارسيل" التي حظيت باهتمام واسع من قبل النقاد والدارسين إذ ترجمت لعدة لغات منها الفرنسية والانجليزية.

تهدف هذه الدراسة إلى التركيز على الشخصية وتبسيط الضوء عليها، باعتبارها المحور الرئيسي في إطار العمل السردية، إذ ترتبط أشد الارتباط ببقية العناصر الأخرى. الكلمات المفتاحية: الرواية، الشخصيات، التقديم المباشر، التقديم غير المباشر.

Abstract:

The novel takes pride of place in Arab and international literary forms as it is the most suitable for monitoring the situation of society and materializing its crises through its characters, and Hassan al-Bandari has excelled in writing stories and novels of various forms and purposes, including the novel "Basil and Marcel", which has received wide attention from critics and scholars, as it has been translated into several languages, including French and English.

This study aims to focus on the character and shed light on it, as it is the main axis in the narrative framework, as it is closely related to the rest of the other elements.

Keywords: Novel, characters, direct presentation, indirect presentation.

*المؤلف المراسل:

مقدمة:

لقد أصبحت الرواية اليوم محط اهتمام العمل الفني بشقيه الفعل الإبداعي الأدبي والفعل الأدبي النقدي، ولذلك وجدنا الأدباء والنقاد على سواء يولون الإبداع السردي أهمية مثلى لما لهذا الفن الإبداعي من انعكاسات إيجابية على أصعدة متعددة. انهم وجدوا فيه بدلا عن الشعر الذي لم يعد يلبي رغباتهم في معالجة قضايا يرونها مهمة في ارتباطها بالواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ومعالجة ما يكتنف الحياة اليومية للناس في معاشهم وعلاقاتهم ببعضهم وبالأفات والمشاكل المستجدة في عالم سريع التغير، أو قل لم يستطيعوا ركوب الشعر لتحقيق ذلك، فكان البديل الأنسب هو ولوج عالم الفن الروائي. إنَّ العمل الروائي هو أقرب منحنى للوصول إلى المرجع الواقع لرصده، وللأخذ منه ودمج تصوراتهِ ضمن التّخيّلات السّردية بشكل فنيّ، فإنّنا نلمس تكيّف الرواية مع المجتمع وحياة الأفراد، ذلك أنها تنشد واقعا تروم الاستثمار فيه تسقط فيه أقوالا وأفعالا وأحداثا وأشخاصا وأماكن وأزمنة وغيرها، حتى إنه ليخيل للقارئ أنه أمام واقع حقيقي غير منفصل عما عهده في حياة الناس من حوله، بخاصّة من خلال حضور سجّلات الكلام المتعدّدة التي تبرز الفوارق الاجتماعية من خلال اللّغة، إذ لكلّ طبقة اجتماعية طريقتها الخاصّة في التّعبير، كما أنّ لها معجمها ونبرتها الاستثنائية التي تميزها عن باقي الطبقات الأخرى، فنحن نعلم أن للشيوخ معجمهم وأسلوبهم في الحديث، والكهول كذلك، وللنساء معجم مفرداتي يتميزن به وطرائق حديث مخصوصة بهن، وللشباب طرائق أخرى

ومفردات خاصة، كما أنّ المتكلم في الرواية له القدرة على التغيير وفق المقام الذي وضع فيه، ووفق ما تقتضيه ظروف الحوار وغايات التواصل والأهداف المنشودة من ذلك كله.

1- مفهوم الشخصية في النقد الروائي:

تعد الشخصية محورا هاما في الأعمال الفنية لما لها من قدرة على تحقيق الوظيفة التفاعلية الصانعة للأحداث وما يرتبط بها وما ينجز بمحاذاتها لتحقيق غايات الفعل السردى. وكما هي بتلك الأهمية الظاهرة في الإبداع المرئي المنظور والمسموع كالفيلم والمسرح، هي كذلك في الإبداع المكتوب المقروء الذي يمثل في هذا البحث العمل الروائي. فمعظم الأجناس الأدبية الثرية تتخذ الشخصية عنصرا هاما وأساسيا في نصوصها، فقد عرفت منذ القديم تحولات مذهلة في فترات زمنية متعاقبة في مسار التطور الحاصل عبر عصور الأدب المتلاحقة منذ عصر "أرسطو" إلى يوم الناس هذا، وفي الآداب العالمية على العموم. ولهذا فإنّ المتتبع لتاريخ الدراسات التي كتبت حول الشخصية وأخص بالذكر الشخصية الروائية يلقي أن النقاد قد تفرقوا مذاهب مختلفة من حيث وصفها، وأدوارها، وأصنافها، ورمزيتها، ولغتها، وعلاقتها بما يحيط بها، وطرائق توظيفها، وكيفية بلوغ الغايات من خلالها، وحول بنيتها وأهميتها، خاصة أنّها تعتبر العمود الفقري الذي تقوم عليه الرواية، وأكثر العناصر التي تشد انتباه القارئ حين يطالع أية رواية.

عرّفت الشخصية في المعاجم الاصطلاحية على أنّها: "أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة أو المسرحية"

¹، وتعدّ الشخصية عنصرا هاما في بناء الرواية؛ فبدون الشخصيات لا يمكن لأيّ عمل روائي أن يحقق ذاتيته كفن روائي قوامه الأسلوب السردى وحوار الشخصيات، فهي شخوص الحدث، وصانعة الأفعال، ومفعلة الزمان والمكان. وعليه فليس بإمكان أي كاتب أن يبني روايته دون شخصيات تتحدّث وتتفاعل

مع الأحداث، وأي خلل في هذه المرتكزات يفقد الرواية من مصداقيتها كعمل روائي، ويفرغ محتواها من أي انتساب للسرد الروائي. وقد مرّ مفهوم الشخصية بتحوّلات كثيرة؛ حيث اختلفت التعاريف حولها، بداية من "أرسطو" في العصر اليوناني إلى العصر الحديث.

لقد وضع "أرسطو" في كتابه فنّ الشعر مجموعة من الأسس والقواعد والتقنيات يقوم عليها العمل التراجيدي، في مقدمتها الحبكة لما لها من دور في تأزيم العمل التراجيدي مما يحقق الرغبة في بزوغ الانفراج، لأهميتها في العمل التراجيدي، ولكونها جوهره وروحه، وسبيل تطوره لبلوغ أقصى ذروته، في اتجاه بلوغ نهايته، ثم تصوير الشخصيات وكيفية عرضها وإبراز تحركاتها وأفعالها وتفاعلها مع بعضها ومع محيطها، يلي ذلك الفكر ومحتواه وشأنه وطبيعته ومبتغاه، ثم تأتي اللغة كأداة معبرة تتشكل من أصوات دالة تشكل معجماً مفرداتياً تقوم على تركيباته مجموعة من المعاني والأفكار، تحقق غاية الحوار والتواصل مما يدفع بالعمل الروائي أو المسرحي إلى بلوغ غايته من فعل الابداع.²

هكذا يكون "أرسطو" قد جعل من الشخصية ثاني عنصر مهمّ بعد الحبكة، وهو إدراك منه لقيمتها كمرتكز تنبني عليه الأفعال والأحداث وأن خصها بمجموعة من الصفات والخصائص، ولكنها لن تستطيع أن تقدّم شيئاً للمأساة دون بقية العناصر الأخرى، لارتباط هذه العناصر ببعضها في تكامل تام يؤسس لطبيعة الإبداع.

أمّا إذا انتقلنا إلى العصر الحديث فإننا نجد نقّاد القرن التاسع عشر قد كان لهم رأي آخر؛ حيث نظروا إليها كعنصر مركزي داخل العمل السّردي، فالرواية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قد "عنيت عناية كبيرة بالشخصية، لاسيما بملامحها الخارجية وتصوير مظاهرها بدقّة، فضلاً عن علاقتها بالآخرين،

وجعلها كالإنسان في عالم الحياة والواقع تحبّ وتزوّج وتنجب وتدرّكها الشّيوخوخة، فتختلف وتتفق".³

لقد كانت الشّخصية في الرّواية الكلاسيكية تعامل على أساس أنّها كائن حيّ تحيا وتموت وتسعد وتشقى، والرّوائي الجيّد هو الذي باستطاعته أن يقدّم للقارئ شخصيات مفعمة بالحياة، مطابقة لنظائرها في الواقع.

بعد الحرب العالمية الثّانية تغيّرت الكثير من المفاهيم التي تتعلّق بعناصر النصّ السّردّي، فظهرت الرّواية الجديدة لتكون ثورة على الرّواية التّقليدية، وتراجع لذلك مفهوم الشّخصية وانحصر في الرّواية الجديدة، فلم يعد يول لها ذلك الاهتمام الكبير، فعمل النّقاد على التّسوية بينها وبين العناصر الأخرى للرّواية، وأهمّ ما يميّز الاتجاه الجديد في نقد الشّخصية هو الانتقال من داخل الشّخصية إلى خارجها، أي إلى وظيفتها والأدوار التي تقوم بها "فألفينا النّظرة الجديدة إلى تمثّل الشّخصية في العمل السّردّي تنحو منحى لغويّا، ذلك أنّ النّظرة الجديدة إلى الشّخصية أمست تنهض على التّسوية المطلقة بينها وبين اللّغة والمشكلات السّردية الأخرى ومن أجل ذلك ربّما عدّت الشّخصية مجرد كائن من ورق".⁴

وهكذا اعتبر النّقاد المعاصرون مكانة الشّخصية داخل المتن الرّوائي لا تشكّل سمة مميّزة يمكن الاستناد إليها في مقارنة النصّ الرّوائي. بل إنها مكون روائي كباقي المكونات لا فضل له إلا في حدود التفاعل العام الذي يتكون من خلال تفاعل عناصر السرد الرّوائي جميعها. وتظافر مفعوليتها في ذلك الكل الموحد لمساعدته على بلوغ غايته وتحقيق أهدافه، وهي نظرة بنائية تقوم على اعتبار الرواية كل متكامل من عناصر شتى ترابط في إطار حركية وجدلية تفرضها طبيعة التأسيس لمخطط الأهداف والغايات.

2- تقديم الشّخصيات في رواية "باسيل ومارسيل":

يختلف المؤلفون في طرائق صياغة العمل الفني، مثلما يتميزون في أساليب الطرح والعرض، كما يختلفون في جودة الأسلوب وفنيات السرد. هذا ينجر عنه اتباع تقنيات متعددة لتقديم الشخصية وتمايز في طريقة عرضها، فهناك من الكتاب من يعمل جهده ويضني فكره ليرسم أدق التفاصيل لشخصياته، وهناك من يرى من الأهمية بمكان أن يحجب عن الشخصية كلّ وصف مظهري، وهناك من يجد أنه من اللائق تقديم شخصياته بشكل مباشر، ومنهم من يرى خلاف هذا فيختار التقديم غير المباشر.

1.2- التقديم المباشر:

يتشكل البناء الروائي وفق طرق عديدة وتبعاً لمنهجيات تعتمد على فطنة المؤلف ونباهته وخبرته بوسائل السرد وتقنياته. ومن ذلك فقد تظهر الشخصية بنفسها للتعبير عن تفكيرها، وإبراز طبيعتها ومقوماتها، ويكون ذلك من خلال الحوارات الداخلية أو الخارجية، ففي هذه الطريقة يتنحى الراوي جانباً ليعطي لشخصيته فسحة، ويوسع لها مجالاً، ويترك هذه "الشخصية ... تعبّر عن نفسها بنفسها"⁵، فالزاوي يترك للشخصية حرية الحركة ويسمح لها بالتعبير، في قصيدة من الاستقلال، مستعملة ضمير المتكلم، فتتكشف خباياها وتتبدى مواصفاتها وتتجلى أبعادها أمام القارئ بصفة تدريجية، عبر أحاديثها وحموله المضامين التي تحملها لغتها وطبيعة حوارها. وهي بهذا تفصح عن مشاعرها الداخلية وسماتها الخلقية وأحاسيسها، ويكون ذلك الانكشاف والتعري قد تمّ عن طريق تفكيرها وتداعياتها ومونولوجاتها الداخلية و عن طريق الحوار الذي تكون طرفاً فيه. فالمؤلف استطاع أن يتعامل مع شخصياته الروائية ليس على أنها أدوات سردية جامدة أو دُمى معلقة في خيوط يحركها جبراً وقسراً، بل ككيانات معقدة تحمل صراعات داخلية تعكس الانقسامات الثقافية

والاجتماعية في المجتمع فهي تحاكي واقعا يضمن له تحقيق فاعلية التفاعل لدى القارئ والاندماج. فحسن البنداري في روايته هذه، يُظهر من خلال الحوارات الداخلية والوصف الدقيق للسمات النفسية أن لكل شخصية بعدها الفريد وتميزها المنفصل، مما يتيح للقارئ فهم الصراعات التي تعيشها على المستوى الفردي والجماعي

1.1.2- التقديم المباشر عن طريق المونولوج:

تقوم الشخصية بتقديم نفسها، والتعبير عن إحساسها الداخلي عبر رؤية ذاتية، خاصة وقد استخدم "حسن البنداري" المونولوج الداخلي استخداما واسعا في روايته "باسيل ومارسيل" لتقديم الحالة النفسية، وبالتالي الزمن النفسي للشخصية.

يعتبر المونولوج الداخلي وسيلة يتخذها الكاتب للاطلاع على عالم الشخصية الداخلي، يقول "إبراهيم خليل": "وقد شاع استخدام المونولوج الداخلي (...) في الروايات أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، ولفت هذا الأسلوب نظر القراء والكتاب ونقاد الرواية، لما فيه من تجديد وتحرر من قواعد السرد التقليدي، ولما فيه من إطلاق حرية الشخصية ووعمها الباطني، لينفلت من عقالة ويتدفق على هيئة تداعيات تمثل الشكل الذي تتشكل فيه أفكار الإنسان مسترسلة بلا ضوابط"⁶، فمن خلال المونولوج تستطيع الشخصية التعبير عن مشاعر الحب أو الكره والحنين، وتحقيق نوع من الرضا بإخراج المكبوت إلى العلن، ولو في نطاق معزول ضمن حالة من الانفرادية تنكئ على المونولوج كوسيلة تفرغ وتطهير وتخليص. وعن ذلك نذكر قول "مارسيل" وهي في حوار داخلي مع نفسها "وهمست لنفسي: اخترتك منذ بداية التواصل قبل ثلاثة أعوام دون أن ألتفت إلى إغراءات لاحظتها في عيون فرنسيين وغير فرنسيين التقيت

بهم، إمّا بحكم العمل وإمّا بالمصادفة في ندوات أو مؤتمرات أو حفلات أدعى إليها لا تكاد تخلو منها باريس... اخترتك الآن "باسيل" غير مترجمة في اختياري، انتهيت على صوته الحنون الذي لا يكفّ عن احتوائي وتملّكي، فأشعر بأمواج الثقة في نفسي وفي قرار اختياري الذي أملاه عليّ عقلي وقلبي".⁷

تستحضر "مارسيل" حبيبها "باسيل" وتستذكر في حوار داخلي صوته الحنون الذي احتواها بعطفه وحنانه، وتزداد يقينا أنّه هو الاختيار الصّواب الذي سيعوّضها عن كلّ ما لحق بها من ألم وعذاب مع زوجها السّابق "رشوان".

تعكس شخصيات الرواية، لا سيما "باسيل" و"مارسيل"، صراعات نفسية داخلية عميقة نابعة من اضطرابات الهوية والتوتر، وتشي بنوع من التيه الفكري والأرواح الشاردة التي تتأرجح بين الرغبة في الحفاظ على الجذور التقليدية والحاجة للتأقلم مع متطلبات الحداثة. فعلى سبيل المثال، يُعبّر "باسيل" في أحد المونولوجات الداخلية عن شعوره بالتمزق قائلاً:

"أنا محاصر بين الماضي والحاضر" والمتأمل في هذا التعبير يستشف أنه يشير إلى حالة من الاضطراب النفسي ناتجة عن صراعه الدائم بين قيمه المتوارثة وضغوط التغيير الاجتماعي. ومن ناحية أخرى، تظهر "مارسيل" ميولاً نحو الانفتاح والتجديد، إذ يتردد في نصوصها التأملية إشارة إلى أن العالم من حولها يتغير بسرعة تفوق قدرتها على التأقلم، ما يُفضي به إلى حالة من الاغتراب والقلق النفسي.

أكاديمياً، تناولت دراسات مثل دراسة أحمد زهير (2018) هذه الظاهرة؛ حيث يُعدّ الأدب المعاصر وسيلة لاستكشاف البُعد النفسي للشخصيات عبر استخدام

الرمزية والحوار الداخلي لتجسيد الصراعات الشخصية الناتجة عن التغيرات الثقافية والاجتماعية

إنّ المنولوج يعتبر وسيلة عظيمة للكشف عن خبايا بعض النفوس الدنيئة وتقديمها لنفسية "رشوان" من خلال قوله: "دخيل النّحراوي شامت بي لفشل زواجي من مارسيل، اختارتني مارسيل ضاربة باسم دخيل عرض الحائط (...) لم أتردد بعد زواجنا بأيام من صفع مارسيل على خدّها الأيمن عندما ذكرت اسم دخيل النّحراوي وقارنت بيني وبينه، ثرت لكبريائي وكرامتي... لكنني الآن أوافق على الاستعانة به لاستعادة مارسيل، أنا مستعدّ أن أتحالف مع الشّيطان لإزاحة كلّ من يتحدّاني وسوف أغدربك يا دخيل بعد حصولي على المساندة والمساعدة والمعاونة، فأدبر لقتلك وإزاحتك من طريقي".⁸

يتّضح من خلال هذا الحوار الدّخلي البعد النّفسي لشخصية "رشوان" المستبدة التي تضمّر الشرّ لكلّ من حوله في سبيل تحقيق أغراضه الدنيئة.

لقد اتخذ "حسن البنداري" المنولوج كتقنية مهيمنة للغوص في كنه نفوس الشخصيات الروائية واستقراء مكنوناتها في روايته، وقد حاول من خلالها تسليط الضّوء على تلك الشّخصيات والكشف عن طبائع النفوس من خلالها، ومنها شخصية "نجوان" المضطربة التي تشعر بالخطر قبل وقوعه، فتخيف بكلامها التّحذيري الكبار والصّغار، ومن ذلك قولها: "مارسيل نذير شؤم ودمار وخراب"⁹، فقد شعرت "نجوان" بالخطر الذي سيصيب العائلة إن بقيت مارسيل في حمايتهم.

ساهم المنولوج بشكل كبير في الكشف عن خبايا الشّخصيات الروائية، فالحوار الدّخلي بيّن الشّخصية نفسها في الرواية، ظهر في معظمه عند الشّعور بالحنين أو الخوف أو الضّياع كما هو الأمر مع "مارسيل" و"رشوان" و"نجوان"

وغيرهم، فينطلقون حائرين معبرين عما يدور في أعماقهم وما يجول في خواطريهم بأسلوب مشحون بالصّور الوجدانية.

لقد نجح حسن بنداري في معالجة شخصيات روايته، ولا سيما "باسيل" و"مارسيل"، بنوع من العمق النفسي والرمزية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالواقع الاجتماعي والثقافي المعاصر. واستطاع أن يقدمهما بطريقة متوازنة تجمع بين السرد الوصفي والتحليل النفسي. فهو ساعدنا بذلك على فهم شخصية "باسيل" التي تحيل على الشخصية المحافضة والتي تمثل الارتباط بالتراث والهوية التقليدية وترفض الانتماء بين أحضان المدنية الغربية وحضارتها المتجردة من القيم والمثل العليا والروحانيات؛ فهو إذن يُشكّل رمزاً للقيم الراسخة والعادات الاجتماعية التي تشكّل جزءاً من تاريخ المجتمع. بينما تمثل "مارسيل" روح الحداثة والانفتاح والاعجاب بحضارة الآخر الغربي والاندهاش بها، معبرة عن تأثيرات العولمة والتحديث التي تغير من معالم الواقع الاجتماعي. وبهذا يعتمد الكاتب على أسلوب التداخل بين الحوارات و المونولوجات الداخلية التي تُضفي على العرض لمسة من الواقعية والعمق.

2.1.2- التقديم المباشر عن طريق الحوار:

يعدّ الحوار عنصراً أساسياً في العمل الروائي، فمن خلاله تتضح طبيعة الشخصيات وتأخذ شكلها في وعي القارئ. وبالحوار يُستدلّ به على وعي الشخصية وتفردّها، ولم يغفل الكتاب أهمية هذا العنصر في بناء رواياتهم ومنهم "حسن البنداري" الذي اعتمد عليه في رسم بعض شخصياته وخاصة المهمة منها.

يقول "أحمد طالب" عن الحوار "يعدّ الحوار من أدقّ وسائل الكاتب وأكثرها أهمية، إذ يساعده على رسم الشخصية وتحديد صفاتها العقلية المميّزة لها، والكشف عن عواطفها وأبعادها ومواقفها، إلى جانب فائدته الملموسة في تطوير الأحداث للسير بها إلى النهاية الطّبيعية، كما أنّه بواسطته تتّصل شخصيات القصّة"،¹⁰ فالحوار يمثل اللغة ويعرض طبيعة الكلام الناقل للمعاني والدلالات والأفكار في تواصلية تتوقف عند بلوغ ذلك الحوار غايته التواصلية.

في تحليل رواية "باسيل ومارسيل" وخاصّة في أشكال تقديم الشخصية، قد يتساءل الباحث عن طريقة أخرى غير المونولوج لتقديم الشخصية تقديمًا مباشرًا، والإجابة عن هذا التساؤل تكون بطريقة الحوار الذي يؤخذ نماذج عنه من خلال الرواية.

في حوار ثنائي بين "مارسيل وباسيل" في الخاص عبر تطبيق الفيسبوك

"ممكن تحديد موضوع المؤتمر؟

فكتبت

"أثر المجلّات العلمية والثقافية في نهضة البحث العلمي"

كتبت متسائلًا

زمنه؟

كتبت

بعد ثلاثة شهور في 2019/09/17، وبما أنّك تحمل شهادة دكتوراه في علم المكتبات وترأس مجلّة الحضارة الشرقيّة العلمية المحكّمة، فقد كلّفني مدير المعهد الدكتور عارف العلمي أن أتواصل معك للمشاركة ببحث خاصّ بالمؤتمر الذي سيعقد لمدة يومين، فكتبت مبدئياً موافقتي

موافق على الحضور وسوف أردّ على الدّعوة بخطاب موافقة.¹¹

من خلال ما تقدّم يتّضح للقارئ أنّ "باسيل" هو دكتور في علم المكتبات ورئيس مجلّة الحضارة الشرقيّة، فقد ساعد هذا الحوار على التعريف بالشّخصيّة.

وفي حوار آخر مع البطلين "باسيل ومارسيل"، نذكر:

متزوّجة؟

قالت

نعم

ممنّ؟

من الشّاب الذي غار منك في مؤتمر الرّباط الدّكتور رشوان الجولاني وهو ابن رجل أعمال فرنسي، أصله تركي يدعى شوكت الجولاني، ألجّ في طلب خطبتي، وقد وافق عليه والدي... وتأكّدت بعد شهر واحد من الزّواج أنّه ضمن منظّمة تمويل العمليات الإرهابية في ليبيا وتونس وسوريا ومصر والجزائر والعراق، فقرّرت مفارقتة...".¹²

ساهم هذا الحوار في الكشف عن بعض الجوانب الخفيّة في شخصيّة "رشوان الجولاني" الذي اتّضح أنّه مجرم خطير متورّط مع جماعات إرهابية، تهدّد أمن بعض الدّول العربيّة.

إنّ من أهمّ وظائف الحوار في رواية "باسيل ومارسيل" أنّه استطاع أن يبعث روح الحيويّة في الشّخصيّة، ويقدمها بشكل يساهم في إيهام القارئ بأنّه في حضرة واقع ملموس يعيشه بعض من يعرفهم من محيطه الاجتماعي، وكان مناسباً وموافقاً لها في الجزئيات وفي العموميّات، فقد رسم ملامح مميّزة لكلّ

شخصية في الرواية وألقى الضوء على عالمها الداخلي، وكشف عن طباعها النفسية بالقدر الذي ساهم فيه المونولوج الداخلي. إن شخصيات رواية حسن البنداري لا تقتصر على كونها شخصيات خيالية بحتة؛ بل تُعدّ بمثابة رموز حية للواقع، بل إنه ليُخيل للقارئ أنها الواقع متجسدا بذاته. ف"باسيل" يُعدّ رمزاً للثبات والتمسك بالجذور، محافظاً على التراث والأصول، مما يعكس أهمية الحفاظ على الهوية الثقافية في مواجهة التغيرات.

أما "مارسيل" فتجسّد روح التغيير والتجديد، والتطلع إلى المثال النموذجي الذي اعتبرته أسوة لها متمثلاً في المدنية الغربية في جميع جوانبها. وهذا يُعبّر عن الانفتاح على التجارب والثقافات المتعددة وتأثيراتها في المجتمع وبذلك، تتداخل أبعاد الرواية مع واقع المجتمع، حيث تُعبّر الشخصيات عن صراعات الهوية والانتماء، وفوق هذا وذاك تطرح تساؤلات حول العلاقة بين الفرد والمجتمع في عصر متحوّل ومجتمع يعيش التيه والتفكك.

2.2- التقديم غير المباشر:

التقديم غير المباشر طريقة فنية ليست بالجديدة، فقد اعتمدها العقل الأدبي في أعماله القديمة، وأدى بها أعماله في الابداع الفني والسرد كالحكي وفي الشعر أيضاً كالشعر الشعبي. و يكون الراوي هو مقدم الشخصية وواصفها، بل مصدر المعلومات عنها، يخبرنا عن أوصافها وطباعها، وعن سلوكها وأفعالها، وقد يذهب إلى حد البوح بجدلية تفاعلها مع غيرها من الشخصيات، كما قد يوكل ذلك إلى شخصية أخرى من شخصيات الرواية. في هذه الحالة يكون السارد قد نصّب نفسه وسيطاً بين الشخصية والقارئ، كما قد تنوب عن فعل ذلك إحدى شخصيات الرواية أو أكثر.

1.2.2- تقديم الشخصية عن طريق الراوي:

يلجأ الرّوائي إلى رسم شخصياته معتمدا على الرّاي العالم بكلّ شيء، مستعملا الضّمير الغائب، فيرسم شخصياته من الخارج، يشرح عواطفها وأفكارها وأحاسيسها، ويعقّب على بعض تصرّفاتنا ويفسّر بعضها الآخر، فكثيرا ما يعطي رأيه صريحا دون التواء، ممّا ينجم عن ذلك شخصيات جاهزة كلياً أو جزئياً "إذ يتدخّل القاصّ أحيانا بنفسه للتّعقيب على بعض تصرّفات شخصياته لإبراز كلّ ما يميّزها من عواطف وأفكار وأحاسيس بأسلوب صريح".¹³

وفي رواية "باسيل ومارسيل" يصف السّارد المواجهة من العميد "برهان" والمجرم رشوان، فيكشف من خلال وصفه عن شخصية أخ "دخيل النّحراوي" (غراييل النّحراوي) في قوله: "أوقف تفكير العميد "برهان" أصوات رصاص تبين له أنّ عددا من أنصار "رشوان" عمدوا إلى مقاومة القوّات وهي تمشّط طوابق الفيلا الثالث، يقود هؤلاء الأنصار شابّ يعتمد قبّعة مثل قبّعة "دخيل النّحراوي"، صورة الشّاب مطابقة لصاحب الصّورة المرفقة مع قائد تمشيط الطّوابق الذي بادربالردّ على إطلاق الرّصاص، تفادى الضّابط بمهارة الرّصاص، لكن مقذوفة رصاص أصابت رأسه فقتلته، فانبرى "برهان" وهاجم الشّاب المقاوم برصاص مسدّسه، فقتله في الحال، اكتشف "برهان" أنّ القتل ليس "دخيل النّحراوي" المرصود، فالشّاب القتل اعتمر قبّعة تشبه قبّعة "دخيل"¹⁴، والمتمعّن في قراءة الرواية يدرك أنّ السّارد قد أحسن وصف الشّخصية حتّى في أدقّ التّفاصيل، ونجح في جعل القارئ بذلك يتوهم حضور مشهد حقيقي يتمثّل واقعيا في حياة الناس.

إنّ الأسلوب غير المباشر في تقديم الشّخصية من خلال هذا المقطع وغيره هو ما يلمح في هذه الرواية، فقد استطاع "حسن البنداري" عن طريق الرّاي أن يصف ملامحها العامّة ويقدم أفعالها بأسلوب الحكاية.

لقد أحسن الراوي تصوير الحالة النفسية لنجوان من خلال قوله: "ها هي نجوان" تتراجع خطوة وخطوات... ثم غادرت الشرفة بفزع و اضطراب للإبلاغ عن الهجوم البحري الكثيف، لابد من التحذير لابد... فهرولت إلى الدّاخل بحثا عن الأب "برهان"... لم تجده، هبطت إلى الطابق الثّاني لتحذير العمّ "وهبان" فلم تجده... هبطت إلى الطابق الأوّل حيث العمّ "باسيل" فوجدته يتأمّل في يده صورة "مارسيل" نادته فلم يسمع... صرخت فلم يسمع...".¹⁵

حاول الراوي من خلال هذا المقطع أن يبيّن الضّغط النفسي الذي تعاني منه "نجوان" التي تمرّ بحالة من الخوف والدّعر من الآتي، وقد اكتفى الراوي بتصوير الحالة النفسية للشّخصية وتقديمها للقارئ أكثر من حرصه على تصوير الجانب الخارجي لهذه الشّخصية. وقد نجح حسن البنداري في تقديم شخصياته الروائية كأدوات نقدية تُمكن من تسليط الضوء على التوتر بين القوى المحافظة والقوى التحررية، وبين الاتجاهات التقليدية والحداثة في المجتمع. كما ركز من خلال توظيفه للشخصيتين الرئيسيتين، على تقديمهما كقطبين فكريين يُظهر من خلالهما الصراع بين القيم القديمة والتطلعات الحديثة، مما يبرز الانقسام الداخلي في الهوية الفردية والجماعية. كما تُستخدم الشخصيات لتجسيد انعكاسات متبادلة بين التجارب الشخصية والتغيّرات الاجتماعية الأوسع، إذ يصبحان مرآة تعكس التحولات الاقتصادية والسياسية والثقافية التي يشهدها المجتمع. وفي هذا السياق أشار أحمد زهير إلى أن الأدب المعاصر يستخدم الشخصيات كرموز تعكس الصراعات الاجتماعية والثقافية التي تبرز في المجتمع.¹⁶

2.2.2- تقديم الشّخصية بواسطة شخصيات أخرى:

ويتمّ ذلك عن طريق الحوار، فالحوار يساهم في رسم وتقييم الشّخصيات الفنية عند كثير من الرّوائيين، ويستخدم فيها ضمير المخاطب "إنّ الشّهادة التي يعطها الغير عن الشّخصية تزودنا بعنصر مكمل ويحلّ للحدود الضيّقة تلازم

الصّورة الدّاتية ولمصاعبها، فالمشهد بوصفه متّجها إلى الخارج... لا يزوّدنا بقدر كبير من المعلومات، لكن الحوار قد يتيح تقديم الشّخصية بصورة موحية".¹⁷

تبرز أهمية الحوار في كونه يكشف عن الواقع الشّعوري للشّخصيات كما جرت مع "باسيل" وهو يصف "مارسيل"، فيقول: "أخفق قلبي وهي تقبل عليّ، قلت في نفسي بيضاء، بيضاوية الوجه، حرّك هواء الصّباح البارد خصلات من شعرها الدّهبي القصير، بالوجه عينان زرقاوان صافيتان كصفاء بحر جليم، الوجنتان مستديرتان، يتوسّطهما أنف شامخ صغير، تحته شفتان قرمزيتان"¹⁸، فمن خلال حوار "باسيل" مع نفسه اتّضحت لنا مواصفات "مارسيل" الخارجية.

ومما سبق نستنتج أن تقديم الشّخصيات في رواية "باسيل ومارسيل" المباشر وغير المباشر الذي لجأ إليه "حسن البنداري" ساعده كثيرا على تحقيق الفنية العالية التي كان دائم الشّوق إليها في أعماله الرّوائية، فقد استطاع أن يحفّز ذهن القارئ من خلال هذا التّقديم على فهم الشّخصيات وتزويد القارئ بمعلومات تفصيلية، ساعدته على الوصول إلى تحديد ماهية الشّخصية وما ينتابها من أزمت نفسية. كما بيّن كيف تتعرض شخصيات روايته لمشكلات نفسية واجتماعية تتجلى من خلال صراعات داخلية عميقة وارتباطها الوثيق بالتحوّلات الاجتماعية والثقافية في المجتمع. ففي رواية "باسيل ومارسيل" يعكس حسن البنداري من خلال الشّخصيتين صراعات الهوية، إذ يُظهر "باسيل" معاناته من التمسك بالجذور التقليدية وسط ضغوط التحديث، بينما تمثل "مارسيل" التجارب الناجمة عن الانفتاح والحدّثة مما يؤدي إلى شعور بالاغتراب والقلق النفسي. كما تُستخدم هذه الحالات لتقديم نقد اجتماعي يُعبّر عن الانقسام بين القديم والحديث في الواقع الاجتماعي.

خاتمة:

من أهمّ النّتائج التي وصلت إليها هذه الدّراسة، نذكر:

- (1) شخصيات "حسن البنداري" في روايته كان لها دور كبير في تحريك العمل السردى الموكل إليها، فكل شخصية قامت بدورها على أكمل وجه، والسمة البارزة في هذه الشخصيات يغلب عليها الطابع الاجتماعي، وقد جاءت حاملة لأفكار معينة كل حسب ثقافته، مما يدل على تفاوت نسبي لدى كل شخصية على مستوى التفكير وطبيعة السلوك.
- (2) لقد سعى السارد في روايته إلى الاقتراب من الواقع أكثر فأكثر، وركز على المشاعر الداخلية والجوانب النفسية للشخصيات برؤية واقعية جديدة، أضفت على العمل الإبداعي بهاء وبعثا جديدا.
- (3) يمكن اعتبار طريقة معالجة بنداري للشخصيات تجسيدا لنموذج السرد الحديث الذي يدمج بين التحليل النفسي والرمزية الثقافية، كما تناولها النقد في الأدب المعاصر.
- (4) يُظهر العرض السردى لبنداري عمقا نقديا يتماهى مع اتجاه النقد الثقافي والاجتماعي الذي يعكس واقع المجتمع والتحول الاجتماعي، مما يجعل من شخصياته أدوات للتأمل في الهوية والثقافة.
- (5) تجسد شخصية "باسيل" التمسك بالتقاليد والقيم الراسخة، وتعرض نموذج الأصالة المطلوب المحافظة عليه، حيث يمثل العنصر الثابت في المجتمع الذي يحاول الحفاظ على الهوية الثقافية رغم موجات التغيير. ويظهر ذلك من خلال مواقفه التي تدعو إلى الرجوع إلى الجذور والتراث، في زمن يشهد تغيرات جذرية.
- (6) تمثل شخصية "مارسيل" روح الحداثة والانفتاح على التجارب الجديدة، والسعي نحو التحرر من ثقافة الماضي، لكنها تواجه تحديات التكيف مع التحولات الاقتصادية والثقافية، ما يؤدي إلى شعورها بالاغتراب وعدم الانتماء.

- (7) يمثل هذا التناقض شكلا من إبراز الصراع بين القديم والحديث في الواقع الاجتماعي، حيث تنقسم الآراء والقيم بين القوى المحافظة التي تحافظ على التقاليد والتيار التقدمي الذي يسعى للتغيير.
- (8) إن التوتر بين هاتين الشخصيتين الرئيسيتين يُعبّر عن صراع القيم الذي لا تنفك منه المجتمعات والشعوب والأمم منذ القديم ولا يزال متواصلا، كما يكشف عن حالة من الانقسام الاجتماعي داخل المجتمع، فبينما يسعى البعض للحفاظ على النسيج التقليدي والثابت، يطالب آخرون بالتجديد والانفتاح على متطلبات العصر الحديث.

الهوامش

- ¹- مجدي وهبة وكمال المهندس، 1984م، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط 2، بيروت، مكتبة لبنان، ص 108.
- ²- أرسطو، 1991م، فنّ الشعر، تر: إبراهيم حمادة، ط 1، هلا للنشر والتوزيع، ص 34-35.
- ³- إبراهيم خليل، 2010م، بنية النصّ الروائي، ط 1، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، ص 173-174.
- ⁴- عبد الملك مرتاض، 1978م، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د ط، الكويت، ص 93.
- ⁵- نضال صالح، 2010م، التنوّع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، ط 1، الجزائر، دار الأملية للنشر والتوزيع، ص 247.
- ⁶- إبراهيم خليل، بنية النصّ الروائي، ص 183.
- ⁷- حسن البنداري، 2020م، باسيل ومارسيل، ط 1، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 38-39.
- ⁸- المصدر نفسه، ص 58-59.
- ⁹- المصدر السابق، ص 48.
- ¹⁰- أحمد طالب، د ت، الالتزام في القصّة القصيرة الجزائرية المعاصرة، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، ص 13.
- ¹¹- حسن البنداري، باسيل ومارسيل، ص 13.
- ¹²- المصدر نفسه، ص 18.
- ¹³- أحمد طالب، الالتزام في القصّة القصيرة الجزائرية المعاصرة، ص 210.
- ¹⁴- الرواية، ص 64-65.
- ¹⁵- الرواية، ص 66-67.

¹⁶- أحمد زهير، "الدور الرمزي للشخصيات في الأدب الحديث: دراسة تحليلية"، مجلة النقد الأدبي العربي

12، 2018، ص 90.

¹⁷- محمد سالم سعد الله، 2007م، أطراف النصّ دراسات في النّقد الإسلامي المعاصر، ط 1، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، ص 181.

¹⁸- الرواية، ص 16.

قائمة المصادر والمراجع:

- (1) إبراهيم خليل، 2010م، بنية النصّ الرّوائي، ط 1، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف.
- (2) أحمد زهير، "الدور الرمزي للشخصيات في الأدب الحديث: دراسة تحليلية"، مجلة النقد الأدبي العربي 12، 2018.
- (3) أحمد طالب، د ت، الالتزام في القصّة القصيرة الجزائرية المعاصرة، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية.
- (4) أرسطو، 1991م، فنّ الشّعْر، تر: إبراهيم حمادة، ط 1، هلا للنّشر والتّوزيع.
- (5) حسن البنداري، 2020م، باسيل ومارسيل، ط 1، مكتبة الأنجلو المصرية.
- (6) عبد الملك مرتاض، 1978م، في نظرية الرّواية بحث في تقنيات السّرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د ط، الكويت.
- (7) مجدي وهبة وكمال المهندس، 1984م، معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب، ط 2، بيروت، مكتبة لبنان.
- (8) محمد سالم سعد الله، 2007م، أطراف النصّ دراسات في النّقد الإسلامي المعاصر، ط 1، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع.
- (9) نضال صالح، 2010م، التّنوّع الأسطوري في الرّواية العربية المعاصرة، ط 1، الجزائر، دار الأملية للنّشر والتّوزيع.